كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء ا .

ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا با وما أنزل إلينا وأي فرق بين أن يقول آمنا با وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء ا فقيل له لم تستثني يا أبا سعيد في الإيمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول ا سبحانه كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة .

وكان يقول ما يؤمنني أن يكون ا سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا أعمل في غير معمل .

وقال إبراهيم بن أدهم إذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا إله إلا ا وقال مرة قل أنا لا أشك في الإيمان وسؤالك إياي بدعة .

وقيل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء ا .

وقال الثوري نحن مؤمنون با وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند ا تعالى فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لا في أصل الإيمان ولكن في خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان إلى الشك .

الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال ا تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقال ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم وقال تعالى انظر كيف يفترون على ا الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه .

والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها ثقل من عرف التزكية كما يقال للإنسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم إن شاء ا لا في معرض التشكيك ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية .

وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء .

الوجه الثاني التأدب بذكر ا تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة ا سبحانه فقد أدب ا سبحانه نبيه A فقال تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء ا ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء ا آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين وكان ا سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول ا A في ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال

لما حديث // لاحقون بكم ا شاء إن وإنا مؤمنين قوم دار عليكم السلام المقابر دخل لما A دخل المقابر قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة // واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر ا تعالى وربط الأمور به .

وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمني فإذا قيل لك إن فلانا يموت سريعا فتقول إن شاء ا فيفهم منه رغبتك لا تشككك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء ا بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر ا تعالى كيف كان الأمر .

الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء ا إذ قال ا تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم أولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لا في أصله وكل إنسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر .

والشك في كمال الإيمان حق من وجهين أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه .

والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال ا تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا با ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا أولئك هم الصادقون فيكون